

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5711) السنة الحادية والعشرون - الاثنين (22) تموز 2024

www.almadasupplements.com

فريز

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

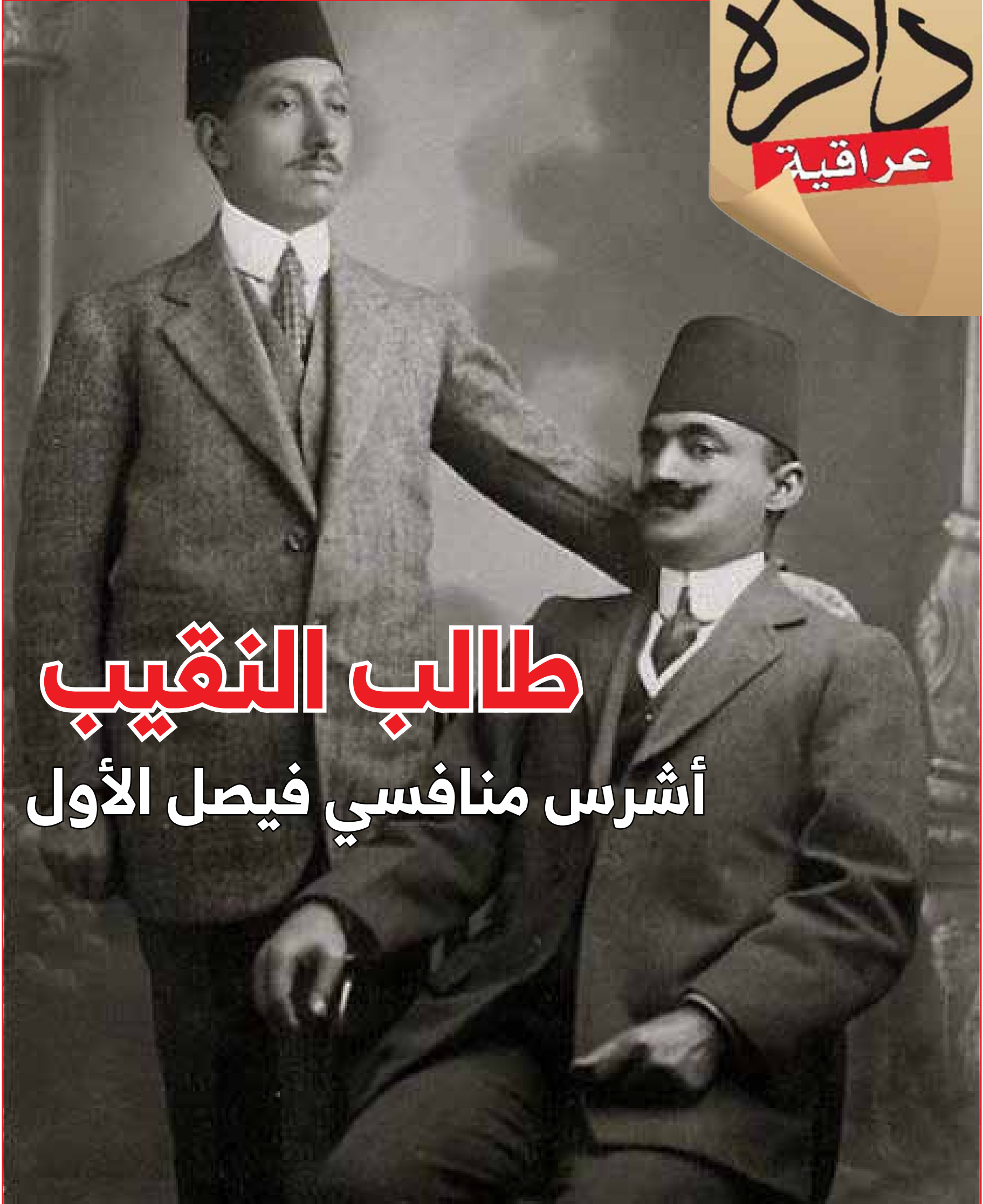
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون



ذاكرة
عراقية

طالب النقيب

أشرس منافسي فيصل الأول



عقد الراهبات.. من الشهرة حتى الافول



عبد الجبار العتباتي

محلة، كما أن فتح شارع الملكة عالية (شارع الجمهورية) عام ١٩٥٤ تسبب في هدم أجزاء من عقد الراهبات، ومن ثم قطع اتصاله بالعقود الأخرى. ولم يكن طريقاً العكد معبدين بل كانا ترابيين، ولم يكونا مستقيمين كذلك، بل كانا منعرجين، فيما الناس تعتمد على السقاء في توفير الماء لها، بينما مداخل العكد لها أبواب تقفل ليلاً حين كان الخوف يلازم الناس من اللصوص وسواهم.

أصل المدرسة وتقلباتها

تاريخ المكان الممتد إلى عمق التاريخ البغدادي له علاقة بالنشأة الأولى لبغداد، لكن الباحث البغدادي حمودي الأنصاري يقول إن المحلة كان اسمها قبل أكثر من ٢٠٠ عام (محلة كاتب العربية)، وإنها كانت زقاقاً من أزقة (رأس القرية) وكان فيها دير راهبات، ويبدو أن هذا الدير صارت له مدرسة عرفت بـ(مدرسة الدير) فيما بعد. أما (مدرسة الراهبات) التي أخذ العكد منها اسمها فهي (مدرسة راهبات التقدمية المركزية) أو كما كانت تسمى (دير راهبات التقدمية المركزي. كوليش دي سنترينو) الذي تم بناؤه من قبل الفرنسيين عام ١٨٨٧. وهذه المدرسة كبيرة وتمتد على مساحة عرض العكدين ولها أربعة أبواب: اثنان مطلان على عقد النصارى واثنان على الجهة الأخرى من عقد الراهبات، لذلك كان للعكد فرعان متجاوران، وفي الذاكرة منها تلك (الصورة الجماعية للطالبات) داخل المدرسة، وهي صورة مدهشة تدل على قيمة المدرسة مكانياً واجتماعياً والتي حافظت على وجودها بالرغم من المشاكل التي حصلت آنذاك مثل الفيضان وانتشار الأمراض التي فتكت بسكان بغداد.

وقد نالت المدرسة شهرة واسعة وإن كانت أهلية وليست حكومية لكونها مميزة وفيها تتعلم الطالبات اللغتين الفرنسية والإنكليزية، وتؤكد المصادر أنها لم تكن حكراً على المسيحيين فقط، بل إنها كانت تقبل الطلاب المسلمين واليهود أيضاً، لكن بعد مجيء حزب البعث إلى الحكم في عام ١٩٦٣، عمل على تأميم المدارس الخاصة الأهلية في ٢٢/ أيار عام ١٩٧٤، فلاقت هذه المدرسة، شأنها شأن المدارس المسيحية الأخرى، صعوبات كبيرة وتراجعت كثيراً، خاصة بعد صدور قرار تحديد نسبة الطلاب المسيحيين لتقبل التعليم المسيحي بنسبة ٥٠٪، ثم تم تحويل ملاكها إلى وزارة التربية وتبديل اسمها إلى ثانوية "العقيدة" في الباب الشرقي، بالرغم من أن المدارس الأهلية كان لها أثر عظيم على العملية التربوية والتعليمية، وعلى تطوير مستوى التعليم ونوعيته.

زمن الأفول

ومن هنا بدأت التحولات تضرب المدرسة وتطيح بتاريخها فتخلت المدرسة عن طالباتها وأصبحت مجرد بناية خاوية، مجرد مكان يشغل حيزاً. وحينما نزح الكثير من المسيحيين من زاخو مطلع الثمانينات إلى بغداد أسكنتهم الكنيسة في المدرسة قبل أن يتم نقلهم إلى منطقة (الدورة). ويذكر بعض من أهل المنطقة أن الكنيسة قامت ببيع المدرسة عام ١٩٩١ وتم هدمها وتحويلها إلى محال تجارية ومخازن ومعامل وبذلك

من الصعوبة أن تفصل بين (عقد النصارى) و(عقد الراهبات) المحاذي له، مع أن لكل منهما خصوصيته. ويبدو "عقد الراهبات" للناظر زقاقاً واحداً لكنه في الواقع زقاقين أو (دربونتين) متجاورتين، وكان لهذا العكد ذاكرة ما زالت تنبض بالأسماء والحكايات بالرغم من محاولات محوها من خلال محو ملامح المكان وتبديل الرائحة البغدادية التي تفوح من بين الأروقة هناك.

تاريخ ذهبي

بين عكدي الراهبات الأول والثاني، ثمة تاريخ يمكن للمار من هناك أن يتنفسه، تاريخ موعج في المحبة ويحكي عن شؤون خاصة ببغداد لها طعم المسرات الذي لا يقاوم، ويحكي محطات من الأسرار البغدادية تكاد تغيب عنها بفعل الإندثار التي تتعرض لها، بالرغم من إن الاسم الذي ما زال قائماً لوحدته يشي بمشاعر تخزنها ذاكرة المكان وإن غادره سكانه المسيحيون ولم يبق لهم فيه غير الذكر الطيب، وإن تغيرت ملامح المكان وتعطلت سيماءه عن النمو والإزدهار.

بين (العكدين) / (الدربونتين) يحاول شارع الرشيد أن يتنفس قليلاً لأنه يعلم إن هاتين الدربونتين تقفان على ضفافه وتمتدان إلى مسافة بعيدة عنه لكنه يمتلك روحهما، وقد استنسخ العديد من الأشكال التي يتميزان بها، شأنهما شأن المحلات البغدادية القديمة التي أخذ منها شكل مبانيه وجمالياتها، فهما يطلان عليه ونظرتهما تجوب في المساحات القريبة كونه يحتضن الذاهيين والأيبين منهما، لكنهما ما عادا يشاهدان الراهبات اللواتي يتميزن بملابسهن مارات من هناك في طريقهن إلى (مدرسة الراهبات)، ولا تتوقف عندهما السيارات الخاصة (الباصات) التي تقل الطالبات وهن بصداريهن السود وياقاتهن البيض ويتهادين داخل الزقاق البغدادي الذي كل سكانه من المسيحيين، وحيث البيوت مزدهية بالشناشيل والشبابيك الملونة والأبواب الخشبية ذات الطارق الصغيرة الجميلة والطران البغدادي الذي يدخل الخشب مادة مهمة في بنائه، وتنفوح من ملاحظها روائح الأطعمة، ويمكن تخيل العلاقات القائمة بين أبناء هذا العكد وسواه.

التسمية مستحدثة

لم يكن لتسمية (عقد الراهبات) ذكر في الكتب التي تناولت بغداد في النصف الأول من القرن العشرين، ويبدو أن التسمية شعبية مستحدثة، إما بسبب الراهبات اللواتي يمررن في الزقاق (الدربونة) أو بسبب مدرسة الراهبات ذاتها. وإن "العكد" كان ضمن مساحة (محلة عقد النصارى) التي ذكرت كمحلة مطلع القرن العشرين. ويبدو أن شق شارع الرشيد عام ١٩١٦ جعل المنطقة تنتمي إلى محلة (العمار سبع ايكار) فغابت عنها تسمية

فتيات يهوديات، كنا ملتزمات بالذهاب إلى الكنيسة، والصلوة بها). وتوضح أنها عند عودتها إلى المنزل كانت تسأل والدها، لماذا لا نصلي مثلهم، وما كان من والدها إلا أن أخبرها بأنهم ليسوا مسيحيين، وبالتالي، ليس عليهم الذهاب إلى الكنيسة.

وأضافت: "كان وقتاً مثيراً للاهتمام في بغداد آنذاك. كانت الحرية حاضرة بشكل جميل".

وهذه "بياتريس أوهانسيان" (١٩٢٧ - ٢٠٠٨) عازفة بيانو عراقية أرمنية، وهي أجمل من عزف على آلة البيانو في العراق، درست في مدرسة الراهبات، حيث كانت هناك بدايتها الأولى في تعلم الموسيقى بدراسة العزف على آلة البيانو، وكانت ترتل وتنشد ضمن فريق الإنشاد التابع للمدرسة. وكانت مدرستها تعتبر الأفضل بين مدارس البنات الأهلية، من حيث المستوى التربوي والعلمي والفني ذلك الوقت.

وهذه الفنانة التشكيلية الكبيرة "حياة جميل حافظ" التي كانت معلمة في مدرسة الراهبات، وبعدها انتقلت للتعليم في مدرسة الموسيقى والباليه، وهذه أيضاً مصممة الأزياء العالمية الفنانة "هنا صادق" التي قضت سني الدراسة في مدرسة الراهبات حيث تعرفت هناك على ثقافات جديدة ودرست اللغة الفرنسية، بعدها أكملت دراسة اللغة الفرنسية في جامعة بغداد كلية اللغات.

عن موقع إيلاف

اندثرت المدرسة تماماً. واقع الحال للعكد ليس مريحاً، لا للعين التي ترى ولا للقلب الذي يشعر بالأسى إزاء التغييرات التي طرأت عليه، وقد غابت النظافة عنه تماماً وهو المشهود له بالنظافة منذ السبعينات بعد أن هدم العديد من البيوت لتقوم بدلها عمارات صغيرة وقد زحفت إليه المعامل الأهلية للأحذية وخياطة الملابس وصناعة الشمع التي أغلق أغلبيتها بسبب الاستيراد العشوائي بعد عام ٢٠٠٣. ويحاول الآخرون التثبيت بالأمل، فالزقاقان مرهقان للنظر إذ كل شيء يبدو مهملًا فيهما، وإن لا تستطيع السيارات دخول المكان فأن العربات الخشبية التي يجرها الحمالون تجوبه داخلة إليه من جهتي شارعي الرشيد والجمهورية وتقدم خدماتها للمعامل الصغيرة التي ما زالت هناك، بيد أن الكثير من البيوت خربة ومتهالكة وتكاد تسقط في أية لحظة.

طالبات شعيرات

لا يمكن مغادرة عقد الراهبات من دون النظر إلى وجوه بعض الطالبات اللواتي صار لهن مستقبل زاهر وشهرة واسعة، فهذه المعمارية زها حديد (١٩٥٠ - ٢٠١٦)، تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي بمدرسة الراهبات الأهلية، والتي قالت عنها في حوار مسجل لها: "التحققت بمدرسة الراهبات في بغداد، كنت فتاة مسلمة في الدير، وهناك

البصرة عام 1936 كما شاهدها عبد الوهاب عزام

الدكتور عبد الوهاب عزام

خرجنا من الناصرية على الفرات جنوبي العراق نريد البصرة يوم الخميس ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٦ والساعة ثلاث وعشر دقائق بعد الظهر، والناصرية حاضرة لواء المنتفق بنيت على نظام حسن منذ ثمانين عاماً، وسميت باسم ناصر باشا السعودون رئيس عشائر المنتفق، وبينها وبين البصرة مائة وخمسة عشر ميلاً.

سارت بنا السيارة ثلاث ساعات على حافة بادية الشام في قسمها الجنوبي المسمى بالسماوة، نجد على البعد ريح نجد ونرى الشيخ والقيصوم؛ وبيننا نحسب الساعات والأميال، تشوقنا البصرة ونكرباتها، قال أحد الرفاق: "انظروا إلى شجرة الأثل - هذا أثل الزبير، قاربنا المدينة".

مدينة الزبير مدينة صحراوية على مقربة من البصرة الحديثة بينهما نحو عشر كيلات، وكانت في العصور الخالية قسماً من البصرة القديمة، سميت باسم الزبير بن العوام أحد الصحابة قتل بعد موقعة الجمل في وادي السباع على مقربة من المدينة ودفن بها.

وسكان الزبير معظمهم نجديون أهل نشاط وتجارة، وقد جلبت إليها الحكومة العراقية الماء من البصرة منذ سنتين وكان شربهم من الآبار.

وبها من المشاهد قبر الزبير رضي الله عنه في مسجد كبير، وفي جانب من هذا المسجد قبر عتبة بن غزوان مؤسس البصرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. قلت في نفسي: قبر عتبة يذكرني بالفتح والتعمير، وضريح الزبير يذكر بالخلاف والقتال بين المسلمين، وتلك أمة قد خلت، أسأل الله إصلاح النفوس وتأليف القلوب.

وخرجنا من مسجد الزبير إلى ظاهر البلد فرأينا قبة صغيرة تحتها قبران: قبر الحسن البصري، وقبر محمد بن سيرين من التابعين، قلت: قد اصطحبا حين وميتين. وإن الذي يذكر الحسن يملأ نفسه الإجلال والإكبار لهذا الرجل رجل النكاه والعلم والفضاحة والورع والجرأة في الحق. وقد روي عن ثابت بن قره أنه قال: ما أحسد هذه الأمة العربية الأعلى ثلاثة أنفس: عمر بن الخطاب والحسن البصري والجاحظ. وقال عن الحسن: كان من دراري النجوم علماً وتقوى، وزهداً وورعاً وعفة ورقة وفقهاً ومعرفة... يجمع مجلسه ضروباً من الناس، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقي منه التأويل، وهذا يسمع منه الحلال والحرام، وهذا يحكي له الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الوعظ، وهو في جميع ذلك كالبحر العجاج تدفقاً، وكالسراج الوهاج تألقاً. ولا تنس موافقه ومشاهده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشبهاء الأمراء بالكلام الفصل واللفظ الجزل... الخ

وأما قبور الصالحين التي ذكرها ابن بطوطة كمالك بن دينار وسهل بن عبد الله فلم نجد عند القوم خبراً عنها. وأما قبر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فعند وادي السباع بعيداً عن المدينة.

فصلنا عن مدينة الزبير فرأينا على بعد قبة منفردة في البرية وعرفنا أن تحتها ضريح طلحة بن عبد الله أحد الصحابة، وقد قتل في موقعة الجمل أيضاً. ثم مررنا بمئذنة مفردة ليس بجانبها بناء فقيل إنها مئذنة مسجد علي رضي الله عنه. وكان هذا المسجد في وسط المدينة. وكان مسجداً عظيماً بقي وحده بعد خراب البصرة القديمة وراء ابن بطوطة وقال إنه من أحسن المساجد وصحنه منتهي الانفساح، مفروش بالحصبا الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع، وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل.

ثم دخلنا مدينة البصرة وهي على ثمانية أميال إلى الشمال والشرق من البصرة القديمة التي تم خرابها في أوائل القرن الثامن الهجري وخراب البصرة يضرب به المثل.

ولله ذكرٌ تحيط بالداخل إلى البصرة! إنها ذكرُ الفتح



حارة؛ ولذلك قال ابن لتلك الشاعر البصري: نحن بالبصرة في لو... ن من العيش ظريف نحن ما هبت شمال... بين جنات وريف فإذا هبت جنوب =.....

ويكمل الشاعر بيته بشرط لا يحسن إنشاده وكانت البصرة إلى عهد قريب كثيرة الحميات، ويقول ابن بطوطة بعد ذكر المد والجزر: (وبسبب ذلك كان هواء البصرة غير جيد) وألوان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب بها المثل. وقال بعض الشعراء وقد أحضرت بين يدي صاحب أترجة

لله أترج غدا بيننا... معبرا عن حال ذي عبرة كما كسا الله ثياب الضنى... أهل الهوى وساكني البصرة وسمعت في العراق أن أهل البصرة قد أفوا الحمى حتى أن أحدهم يكون سائراً مع صاحبه فيحس الحمى فيقول له: ائذن لي أن أذهب إلى البيت لأحم. هذا كله كان قبل أن تنالها يد العناية - عناية الحكومة العراقية. وأما اليوم فقد أصلحت الحكومة الطرق والأنهار والمستنقعات، وتوسلت بوسائل طبية كثيرة حتى قلت الحمى هناك جداً، ويرجي أن تزول فلا يبقى لها أثر بعد سنين قليلة. ومن الإنصاف أن أنكر ما عرف به أهل البصرة في الماضي والحاضر من كرم الخلق ورعاية الغريب. قال ابن بطوطة:

(وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق، وإيناس للغريب، وقيام بحقه، فلا يستوحش فيما بينهم غريب)

وفي ياقوت: (وقال شاعر يصف أهل البصرة بالبخل وكذب عليهم) وياقوت خبير بالبلد وأهله وكذلك أهل البصرة اليوم تغلب عليهم الأخلاق العربية على كثرة ما نابهم من محن، ومر بهم من شدائد وفي البصرة مدارس أولية وابتدائية كثيرة ومدرسة متوسطة وأخرى ثانوية. والتعليم فيها يزداد ويزدهر سريعاً. وعسى أن يكون لها بعد قليل ما كان لها من مجد وصيت يوم كانت مهد العلوم العربية والإسلامية. ويعد للبصرة من موقعها وأرضها ومائها وعناية الحكومة العراقية بها ما يضمن لها مستقبلًا زاهراً. وإننا نلرجو أن تعيد سيرتها، ولتعمل لخير العربية والإسلام ما عملت في ماضيها إن شاء الله.

مجلة الرسالة - العدد ٢٦٧ في ١٥ ١٩٢٨

يسمى العشار يقع على شط العرب، وتشرف على هذا النهر العظيم قصور أغنياء البصرة يتباين فيها الغنى والبذخ والترف، لها مجالس على النهر وساليم ترسو عليها الزوارق.

وعلى بضعة أميال من المدينة تقع ميناء البصرة الحديثة تدخل إليها البواخر الكبيرة، ولها مستقبل تجاري وحربي عظيم، والجهة التي بها الميناء تسمى المعقل ويسمونها الأوروبيون مركيل وأحسبها مسماة باسم معقل بن يسار المزني. وكان هناك نهر يسمى نهر معقل. وجاء في الأمثال: إذا جاء نهر الله فقد بطل نهر معقل.

والبصرة مدينة البندقية العربية فهي واقعة على شط العرب العظيم تخرج منه أنهار كثيرة تخترق المدينة، فتجد الأنهار في شوارعها الفسيحة تطل عليها الدور والبساتين.

وأذكر أنني سرت من المدينة إلى أبي الخصيب في طريق معبدة تظللها النخيل والأشجار نحو عشرين ميلاً فاجتزت أربع عشرة قطرة على الأنهار الأخذة من شط العرب.

والبصرة أكثر بقاع العالم نخلاً، بها نحو عشرة ملايين نخلة. ويكاد نخيل يتصل ما بين القرنة حيث يجتمع دجلة والفرات إلى مدخل خليج البصرة وذلك نحو مائة وخمسين كيلاً. وقد روى الأصمعي عن الرشيد أنه قال: نظرنا فإذا ما على وجه الأرض من ذهب وفضة لا يبلغ ثمن نخل البصرة... الخ.

وهذا الخصب العظيم والعمران الكثيف على مقربة من البادية. فمن شاء تحضر ونعم بألوان الحضارة، ومن شاء تبتدى واستمتع بحرية البداوة وبالصيد وغيره.

وأما هواء البصرة فحار رطب. وكان من حسن حظنا أن كنا بها في أوائل أيار (مايو) فلم نصادف إلا هواء معتدلاً بالنهار بارداً بالليل. وقد وصف القدماء هواء البصرة بشدة الاختلاف. قال الجاحظ: من عيوب البصرة اختلاف هوائها في يوم واحد، لأنهم يلبسون القمص مرة، والمبطنات مرة لاختلاف جواهر الساعات. ولذلك سميت بالرعاة، قال الفرزدق:

لولا أبو مالك المرجو نائله... ما كانت البصرة الرعاة لي وطناً
وذلك أن ريح الشمال في البصرة باردة، وريح الجنوب



والتعمير الإسلامي. إنها ذكر العلوم والآداب العربية. هنا ولد النحو وعلوم اللغة، هنا أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه والأصمعي ثم الحريري، وهنا بشار وأبو نواس، وهنا أئمة المعتزلة إبراهيم النظام وأبو الهذيل العلاف، وهنا نادرة الزمان أبو عثمان الجاحظ. هنا إخوان الصفاء الذين دونوا خلاصة الفلسفة الإسلامية، وهنا المرید حيث كان يجتمع الشعراء والفصحاء فيستمع الناس ويقضون لمتكلم على آخر. هنا أنشد جرير والفرزدق وغيرهما.

سألت أين المشان قرية الحريري التي كان بها نخله الكثير فقيل لا يزال اسمه معروفاً شمال البصرة فأنشدت ما كتبه سيد الدولة ابن الأنباري إلى الحريري:

سقي ورعى الله المشان فإنها... محل كريم ظل بالمدح حالياً أسائل من لاقيته كيف حاله... فهل يسألني ويعرف حالياً

البصرة اليوم مدينة عامرة كبيرة، واسعة التجارة قد شمل التنظيم الحديث قسماً كبيراً منها، وقسمها الحديث



مظاهرات الطلبة في بغداد سنة 1928

إعداد: ذاكرة عراقية

1- السر الفريد مند في بغداد

كان عصر يوم الأربعاء ٨.٢.١٩٢٨ موعداً قدوم السر الفريد مند الإنكليزي مع عقلته وأنسسته وحاشيته إلى حاضرتنا وحل ضيفاً في دار المعتمد السامي وكان أعلن خبر وروده في الجرائد المحلية وقبل أن تحين الساعة التي يجيء فيها، تجمهز طلبة المدارس في الأزقة والشوارع محتجين على الصهيونية ووعد بلقر في شخص المثري البريطاني المذكور وكان بأيدي التلاميذ أعلام وألواح مكتوب عليها: ليسقط وعد بلفور لتسقط الصهيونية. لتحي الأمة العربية لتحي الوحدة العربية (ويقال أن عددهم كان يناهز الألفين). وكان كلما أوغلو في الشوارع انضم إليهم جموع أخرى إلى أن بلغوا محطة القطار فجاء إليهم مدير الشرطة ومعه شرط خيالة ليشنت شملهم فكان داعياً إلى اشتداد حماسهم. بل يروي أن بعض الطلبة حبسوا الشرطة ثم مشوا في وجههم إلى جسر الخر ليقلبوا السر الفريد (مند) إلا أنهم لم يوفقوا لرؤية الوزير الإنكليز السابق بل كانوا كلما رأوا سيارة قادمة من أنحاء سورية يتصورون أنها هي. وفي الآخر لم يأت المثري في الساعة المعينة، بل جاء متأخراً بساعة ونصف بعد أن تفرقت الجموع.

وفي آخر هذه المظاهرة قبضت الشرطة على واحد وعشرين شخصاً من المتظاهرين واعتقلت عميده وهو الشاب يوسف زيل ثم نفته بعد ذلك إلى البصرة فالغوا.

2- اجتماع في جامع الحيدرخانة

نهار الجمعة ١٠ شباط اجتمع عدد من الأهلين في جامع الحيدرخانة (وهي الجمعة الأولى بعد حادثة مظاهرة طلبة المدارس) فانشد أحدهم قصيدة وطنية حماسية وبعد أن انتهى منها واخذ المجتمعون بالتفريق أوقفت الشرطة كمال نصرت منشد القصيدة وعثمان الشيخ سعيد وإبراهيم أدهم الزهاوي وعاصم فليح الخياط ثم أطلق سراحهم بكفالة قدرها ألف ربية عن كل منهم.

3- الطلبة المعتقلون

قدمت مديرية الشرطة في ١١ شباط أوراق المعتقلين لمظاهرات اليوم ٨ من شباط إلى محكمة الجزاء. وطلبت المديرية المذكورة من المحكمة تمديد أجل توقيف الطلبة ومن شابعهم فكان قرار المحكمة في ١٢ شباط أن يطلق سبيل سبعة منهم بكفالة قدرها ألف ربية عن كل واحد، وإن يمدد أجل توقيف عشرين منهم إلى ١٥ الجاري. وقد ساقطت مديرية الشرطة جميع المعتقلين من أجل المظاهرات إلى بنائية السجن المركزي في محل اسمه (السينما أو السينيم) وهو محل خاص بالموقوفين حتى ينتهي أمر التحقيق.

4- بيان من متصرف لواء بغداد بحرفه

أن التجمع في الطرق والشوارع والميادين العامة وتسير الموكب فيها والاجتماعات في المحال العامة ممنوع بدون إذن من هذا المقام. ومن يخالف ذلك يعرض نفسه إلى أحكام الباب الثالث عشر من قانون العقوبات البغدادي وبيان البوليس لسنة ١٩٢٠ وقانون التجمعات العثمانية.

5- قرار وزارة المعارف في قضية الطلبة المتظاهرين

قررت وزارة المعارف طرد أحد عشر طالباً من دار المعلمين وخمسة من المدرسة الثانوية وطالبيين من متقن الحقوق طردا باتا للمظاهرات التي أقاموا بها.

6- إرادة ملوكية

اصدر جلالة ملكنا المعظم إرادة أثر مظاهرات الطلبة وهذا نصها بحرفة:

مرسوم رقم ١٣ لسنة ١٩٢٨

بالنظر للضرورة الماسة وحفظاً للنظام والأمن العام.

نحن فيصل ملك العراق

بموافقة مجلس الوزراء نأمر بوضع المرسوم الآتي وفقاً

للفقرة الثالثة من المادة ٢٦ من القانون الأساسي.

المادة الأولى - إذا تحقق أن أحد طلاب المدارس ممن لم

يكمل الثامنة عشرة من عمره قد اشترك في أي اجتماع

غير قانوني أو اقلق أو حاول أن يقلق السلم العام

بصورة أخرى يسوغ عقابه بالجلد بعد المعاينة الطبية

على أن لا يزيد ذلك على ٢٥ جلدة.

المادة الثانية - على وزير المعارف

تنفيذ هذا المرسوم الذي يعتبر نافذاً من يوم نشره في

الجريدة الرسمية وله أن يصدر تعليمات لتسهيل تطبيقه.

كتب ببغداد في اليوم الحادي عشر من شهر شباط سنة

١٩٢٨ واليوم العشرين من شهر شعبان سنة ١٣٤٦.

فيصل

يلي اسم جلالة الملك أسماء الوزراء ووزاراتهم. (راجع

لغة العرب ٦٣٥: ٥).

٧- رفيعية تقرير الشرطة عن أعمال الرعاع في حادثة

مظاهرة الطلبة

نشرت الأوقات البغدادية في عددها ٤٨٢٢ الصادرة

في ١٦ شباط تقرير الشرطة بما يتعلق بأعمال الرعاع

في حادثة مظاهرة الطلبة ونحن ننقله بحرفة عن

الجريدة المذكورة. قالت:

(يقدر أن الجموع التي احتشدت على السدة بلغ عددها

عدة آلاف من الناس وكان هناك، علاوة على الطلبة.

عدد كبير من الغوغاء وعناصر المدينة التي لا تراعي

لل قانون حزمة. وكانت الجموع بحالة من الهياج بشعة

للغاية. واكثر المتظاهرين من رمي الحجارة والقناني

واستعمال العصي. وكان البعض حاملاً المسدسات

يطلق عباراتها النارية في الفضاء. ولقد أوقفت السيارات الخارجة من المدينة والداخلية إليها وفي أحوال كثيرة تعمد المتظاهرين إلحاق الأذى بها. إذ شتم سائقو السيارات والركاب وأهينوا واعتدي عليهم وفيما يلي الحوادث التي وردت أليها:

١- كان المستر ج. نيرن وصحبه ذاهبين لملاقاة القافلة الآتية إلى العاصمة فأوقفت سياراتهم على السدة حوالي الساعة الخامسة والنصف مساءً. وقذفت الحجارة على السيارة فتركت فيها أثراً ظاهرة وضرب اثنان من سائقي تلك السيارات بالحجارة والطين.

٢- وكانت سيارة نائب مفتش الشرطة العام (في قسم المباحث الجنائية) متوجهة إلى جسر الخرملة للنائب المذكور ومفتش الشرطة العام. فأوقفت الغوغاء السيارة المشار إليها في جسر الخرملة بسلك من الحديد مد على عرض الطريق. وقذفت عليها الحجارة والطين ومزق المتظاهرون ثلاثة إطارات (تايرات) وخربوها، كما مزقوا كبوت السيارة.

٣- وأحاط المتظاهرون بسيارة المفتش الإداري فاعتدوا عليها. ورشقت بالحجارة وهي سائرة على السدة. وقد تركت فيها ضربات أثراً ظاهراً.

٤- واعتدت الغوغاء على سيارة الكتبتين ايفيتس. أحد ضباط الفوج السابع من الجيش العراقي. فمزقت تايرات السيارة. وأطلق المذكور عيارين ناريتين من بندقية صيد في الفضاء فوق رؤوس المتظاهرين لإرغابهم ففترقوا للحال.

٥- وأوقف المتظاهرين سيارة أديب شعبان الآتية من سورية مقلدة المثل الأمريكي هوتيش هو فمان وقرينته والمدعو محمد نعماني. وكانوا ركاباً. وقد أهين الركاب. وتسلق بعض الغوغاء على السيارة فحطموا نافذة السيارة الخلفية ولما تبين للمتظاهرين أن هؤلاء الركاب لم يكونوا قسماً من جماعة السر الفرد موند سمحوا للسيارة بمتابعة سيرها إلى العاصمة.

٦- واعتدى المتظاهرون على سائقي من سيارات (التركتور) التابعة للسادة كوتريل وكريك



فضبوهما ورشقوهما بالحجارة. والسائقان اسمهما اغا جان وادم، وهما أرمينيان.

٧. وكان المدعو كيروب مدير المزرعة الملكية في الوشاش راجعاً بسيارته إلى بغداد فأوقفها المتظاهرون وضربوه هو سائق سيارته.

٨. وكان المستر كروزني، أحد الضباط البريطانيين، مرتدياً ملابس غير الرسمية وراكباً للنزهة مع السيدة فرنون (قريبة جناب مستشار المالية) وبينما كانا واقفين بجواديهما عند معبر الخط الحديدي. وقت أن كانت البوابة مقلدة أخذت الغوغاء تصيح وتصخب في وجهيهما. فنشأ عن ذلك أن خاف جواد الضابط وجفل فرماه وأصيب مجروح من جراء الأسلاك الشائكة التي وقع عليها.

٩. وروى حضرة كميل أفندي غزاة الموظف بمديرية الزراعة أن سيارته أوقفت وإن المتظاهرين سرقوا مسدسه وبعض دراهمه ومزقوا تايرت سيارته. ووقعت حوادث أخرى لم تبلغ واحدة منها الشرطة. على أنه يمكن القول أن الغوغاء اعتدت على جميع السيارات التي سارت على السدة.

وقالت في العدد ٤٨٢٤ الصادر في ١٨ شباط ما حرفة: يؤخذ من تقرير آخر لداائرة الشرطة أن الشرطي إسماعيل حسن (رقم ٥٤٩) انزل عن

صهوة جواده عصر يوم تظاهرة الطلاب، وطعن في خاصرته. وإن المتظاهرين ضربوا الشرطي الراكب محمود احمد رقم ٥٢٥ بطابوقة في عينه وانزل المتظاهرون الشرطي الراكب مرزمراد رقم ٥٥٨ عن صهوة جواده ثم داسوا عليه فكسروا رجله وانزل كذلك الشرطي الراكب الحاج نوري (رقم ٤١٩) عن صهوة جواده وكسر معصمه وأصيب كثيرون من الشرطة بجروح خفيفة من تطاير الشظايا ومن جراء إنزالهم عن ظهور جيادهم ومن جملة من جرحوا حضرة مجيد أفندي السهروردي معاون مدير الشرطة.

عن جريدة (العراق) ومجلة (لغة العرب)

في ذكرى وفاته

طالب النقيب أشرس منافسي فيصل الأول

صادق الطائي

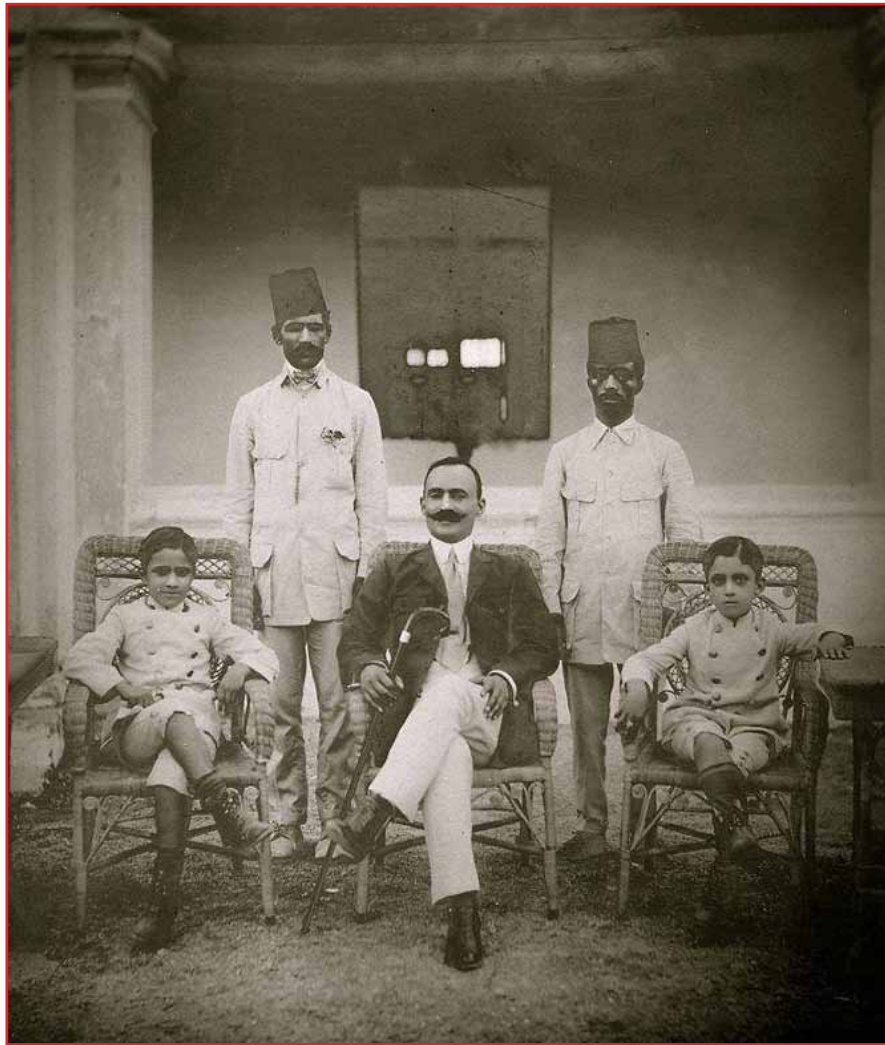


طالب باشا النقيب شخصية عراقية لعبت أدواراً خطيرة نهاية العهد العثماني وبداية الحكم الملكي في العراق، لم يُدرس الرجل دراسة وافية، ولم يسלט الضوء على دوره السياسي، وربما كان السبب في نظر بعض الباحثين هو قصر المدة الزمنية التي ظهر فيها على الساحة السياسية العراقية، أو الاعتقاد بمحدودية دوره السياسي في ولاية البصرة، إذ نشط بشكل ملحوظ في تسعينيات القرن التاسع عشر، وانتهى دوره عندما نفي إلى سيلان عام ١٩٢١، ولم يلعب دوراً سياسياً بعد عودته من منفاه عام ١٩٢٥ حتى وفاته عام ١٩٢٩.

وقد تناول عدد من الباحثين سير بعض الشخصيات، الذين طرحت أسماؤهم كمنافسين للأمر فيصل بن حسين على عرش العراق، الذين تقربوا جميعاً من سلطة الاحتلال البريطاني لنيل الرضا مثل عبد الرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد، والشهيد خزل بن جابر الكعبي أمير المحمرة، والفريق هادي النقيب ابن نقيب أشراف ولاية الموصل، والسيد طالب النقيب ابن نقيب أشراف البصرة، إلا أن الرأي السائد، أن أخطر وأشرس منافس للأمر فيصل كان طالب النقيب، الذي سعى بكل قوة ومتابعة للوصول إلى ميثاقه، لكن النتيجة كانت فشلاً ذريعاً تجرّع مرارته في آخر سنوات حياته.

مضى طالب النقيب وهو وزير الداخلية في زيارة للألوية رافعا شعار "العراق للعراقيين"، لذلك رأى الإنكليز في وجوده خطراً فاعتقلوه بتهمة التحريض ضدهم.

يسرد مير بصري جانباً من سيرة طالب النقيب في كتابه "أعلام الوطنية والقومية العربية" فيقول، هو السيد طالب بن رجب بن محمد سعيد الرفاعي، ينتمي إلى أسرة شريفة تتولى نقابة أشراف البصرة وتتنسب إلى أخي السيد أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الكبير صاحب الطريقة الرفاعية، المتصل نسبه بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد السيد طالب في البصرة في ٢٨ شباط/فبراير ١٨٧١ ودرس القرآن واللغة العربية على يد معلمين خصوصيين شأن أبناء الأشراف في زمانه، ثم تعلم اللغات التركية والفارسية والإنكليزية وشيئاً من اللغة الهندية، نبه شأنه وهو لا يزال شاباً لجرأته الفاتحة وولعه بالمجازفة والمغامرة. ولأسرة قرابية بالسيد أبو الهدى الصيادي الرفاعي (١٨٤٩-١٩٠٩) فهو ابن خالة طالب النقيب، وكان موضع ثقة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، خدمه نحواً من ثلاثين سنة وقلده السلطان مشيخة المشايخ، وكان أبو الهدى يري الرفاعيين في سوريا وبغداد والبصرة، ويتوسط في منحهم الرتب والمراكز الخطيرة. وقد عين طالب النقيب سنة ١٩٠١ متصرفاً للواء الأحساء التابع لولاية البصرة، وأنعم عليه بالوسام العثماني من الدرجة الأولى، ثم برتبة "ببالا" الرفيعة الشأن، ويذكر خيرى العمري في كتابه "شخصيات عراقية"، ربما كان طالب النقيب العراقي الوحيد من البصرة الذي ظفر بتلك الرتبة، فإذ نفوذه في دوائر الحكومة وأسرع الناس إلى استرضائه،



المال بطرق شتى وينفق عن سعة، وينادي بالإصلاح واللامركزية وينأى السلطة بلا خوف ولا وجل، وقد أصبحت داره ملجأً لفريق من الشباب المنتمين للجمعيات السرية والفارين من بطش الحكومة، وفي مقدمتهم الضابط الشاب نوري السعيد، والدكتور عبد الله الدملوجي. ويذكر سليمان فيضي أحد رجال النقيب في مذكراته المعنونة "في غمرة النضال": "كان النقيب شخصية قوية تزيناها رقة الشمايل والوقار، على الرغم من تعرضه للانتقاد العاصف أحياناً، فقد جمع حوله عصبية من الأتباع والملازمين كانت تلف حوله خشية من بطشه، أو حبا به، وكان سخاؤه وتصدقه على الفقراء مضرباً للأمثال، بيد أنه لم يكن ثرياً ولذلك فإن ما كان يحتاجه من المال لتمشية مصالحه وإعاشة حاشيته كثيراً ما كان يجبي عنوة أو يبتز من الأثرياء القاطنين في جنوب العراق".

استمر النقيب بتحدي حكومة الاتحاديين ومحاكسة السلطات المحلية في ولاية البصرة بضع سنوات، فقرر إيفاد العميد فريد بك، وهو أمر موقع البصرة ومن أقطاب الاتحاديين، ومعه متصرف لواء الناصرية بديع نوري بك (وهو أخو ساطع الحصري) لوضع حد لحرركاته، لكنه علم بما خطط له فبادر إلى إرسال أعوانه ليكمنوا لهما على جسر العشار المؤدي إلى البلدة، وأطلقوا النار عليهما في ٢٠ حزيران/يونيو ١٩١٣ فأردوهما قتيلين، وفرّ الجناة ولم يعثر لهم على أثر، وجاملته الحكومة بعد ذلك وتقربت إليه، فأعلن السيد طالب في شباط/فبراير ١٩١٤ بياناً صرح فيه بنقاهمه معها وتوحيد المساعي لإعلاء شأن الدولة، لكن علاقته بالاتحاديين بقيت متوترة، صدرت أوامر سرية باعتقاله

وذهب والي بغداد لتنفيذ المهمة إلى البصرة في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ على رأس قوة كبيرة، لكن في ٢٨ من الشهر المذكور أعلنت تركيا انضمامها إلى ألمانيا في محاربة الحلفاء، وعلى أثر ذلك دعا القنصل البريطاني في البصرة السيد طالب لموافاته في المحمرة لدى أميرها الشيخ خزعل الموالي لبريطانيا، وقد سئل أن يتعاون مع الإنكليز مقابل التعهد بتنصيبه حاكماً على البصرة والناصرية، ومنح المنطقة حكماً ذاتياً. وكان هذا أبرز طموحات طالب النقيب حينذاك، أن يستقل بمشيخة أو إمارة في جنوب العراق كحال صديقيه المقرين مبارك الصباح أمير الكويت، وخزعل بن جابر الكعبي أمير المحمرة. احتل الإنكليز البصرة في ١٩ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٤، فمضى النقيب في يناير/كانون الثاني ١٩١٥ إلى بومبي، ونقله الإنكليز إلى بنكالور ومنها إلى جزيرة سيلان، لأنهم لم يكونوا يثقون به، وبعد سنتين سمحوا له بالعودة إلى مصر سنة ١٩١٧ ثم العودة إلى البصرة في فبراير/شباط ١٩٢٠، حيث عهد إليه برئاسة اللجنة المكلفة بوضع قانون الانتخاب في بغداد في أغسطس/آب ١٩٢٠، وكان من أعضاء اللجنة النواب العراقيين في مجلس المبعوثان العثماني السابق وفريق من الوجهاء وأصحاب الرأي. وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٢٠ شكلت أول حكومة وطنية برئاسة عبد الرحمن الكيلاني، وتولى طالب وزارة الداخلية، وبرز طموحه السياسي سافراً لتولي عرش العراق، وذكر جون فيلبي الذي كان يؤيد ويدعم ترشح طالب النقيب لعرش العراق، في كتاب "أيام فيلبي في العراق"؛ إن "السيد طالب هو بلا شك الرجل البارز في العراق بفطنته وقوته، لكنه مجرد من المبادئ الخلقية، يخشاه الجميع ويكرهه أكثر الناس".

وقد مضى طالب وهو وزير الداخلية في الحكومة في زيارة للألوية رافعا شعار "العراق للعراقيين"، لذلك رأى الإنكليز في وجوده خطراً بعد ترشيح فيصل لعرش العراق في مؤتمر القاهرة في مارس/آذار ١٩٢١، فاعتقلوه في ١٦ أبريل/نيسان ١٩٢١ بتهمة التحريض على العصيان المسلح ضد الوجود البريطاني، وتم إبعاده إلى جزيرة سيلان مرة ثانية. وبعد سنتين قضاها في منفاه سمح له بالمغادرة إلى أوروبا أولاً، ثم العودة إلى العراق في مايو/أيار ١٩٢٥، فأقام في البصرة معزلاً الحياة السياسية ومنصرفاً إلى أشغاله الخاصة. وتذكر المس بيل في إحدى رسائلها المؤرخة في ١٢ ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٥: "إنها" ذهبت لتوديع الأمير زيد الذي كان مسافراً إلى إنكلترا، وكانت في توديعه مجموعة شخصيات سياسية، وقد لاحظت إن السيد طالب النقيب بين الحضور، وكان قد قدم لبغداد في زيارة. وخشيت أن يأتي لمصافحتها، فمضت إلى رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون وأخبرته أن يحذر من الاقتراب منها لأنها سيقاطعه أمام الجميع، وفعل رئيس الوزراء ذلك فانكأ طالب إلى الوراء. كما ذكرت في رسالتيها: "إنه قابل الملك فيصل فنصحه بأن يعيش في الخارج". ولعل خيرى العمري يعد خير من وصف أوضاع النقيب في تلك الفترة في كتابه "شخصيات عراقية" بقوله: "وقد تحطمت آماله وتلاشت أحلامه فاستقر في دار متواضعة تقع في منطقة السبيليات في البصرة يتجرع مرارة خيبة الألفة، تركت في نفسه عقدة دفعته إلى الاعتزال، وساقته إلى انتهاز سبل شتى يتهرب بها من مواجهة الناس حيناً، فيمتنع عن حضور الحفلات خشية ألا يكون مقعده مناسباً، ويسلك إذا توجه للبصرة طرقاً خالية ليثقي نظرات المرة عليه حيناً آخر، ويخرج من مواجهة الملك فيصل طورا، فيفر كلما سمع بمجيئه إلى البصرة نحو الكويت ويشرب الويسكي لينعى أماله الضائعة تارة أخرى". وبقي على هذه الحال حتى اشتدت عليه وطأة المرض فسافر إلى ألمانيا للعلاج ووافته المنية في ميونيخ في ١٦ يونيو/حزيران ١٩٢٩. ونقل جثمانه إلى البصرة ودفن في مقبرة الحسن البصري في ١٦ أغسطس ١٩٢٩ لتطوى سيرة رجل سجالي خاض غمار الصراعات بعنف وإقدام.

نوري السعيد وبدايات حياته

اعداد: د. سعد سوسة

مكتبة

دخل نوري السعيد بأحد الكتاتيب في بغداد، وكان عمره سنتين، وذلك لتعلم القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن فتعلم فضلاً عن ذلك مبادئ الخط، والانشاء، والحساب مما كان له الأثر البالغ في شخصيته نوري سعيد ويرجع ذلك إلى النظام الذي كان سائداً في الكتاتيب.

وكان على نوري السعيد أن يختار بين المدرسة المدنية، أو المدرسة العسكرية فتح العثمانيين المدرسة الابتدائية والمتوسطة المدنية والعسكرية وتركوا الخيار إلى العراقيين في اختيار الخدمة المدنية أو العسكرية، وكانت محاولة نوري السعيد فقد رفضت أول مرة وذلك لصغر سنه غير أن قائد قوات بغداد الجنرال رجب باشا، شاهد نوري السعيد واعجب بصفاته الغير الاعتيادية، فأكد على مدير المدرسة قبوله.

دخل نوري السعيد المدرسة العسكرية وذلك بتشجيع من قبل الجنرال رجب باشا قائد الفرقة العثمانية السادسة في بغداد فضلاً عن رغبة أهله الذين فضلوا له التعليم العسكري على التعليم المدني، وذلك لكونه مجاناً، وتحملت الدولة العثمانية النفقات الدراسية فضلاً عن الراتب الشهري الذي يدفع إلى الطلاب الذين يلتحقون بالدراسة في المدرسة العسكرية. فضلاً عن ذلك كانت ترفع من المستوى الاجتماعي للطالب وهذا بحد ذاته فرصة ذهبية، مقارنة بما هو متاح في المهن الأخرى. دخل نوري السعيد في (الكتاتيب شأنه شأن معظم أبناء جيله، ثم التحق بالمدرسة الرشدية).

تعلم خلالها مبادئ التاريخ، وجغرافية الدولة العثمانية، والهندسة، والحساب، والصحة، واللغات العربية، والعثمانية والغربية، وبعد أن أتم دراسته في المدرسة الرشدية، دخل الإعدادية العسكرية ببغداد عام ١٨٩٩، درس خلالها المثلثات والجبر والهندسة والصحة والفلك وقد تخرج فيها عام ١٩٠٢ حيث قطع نوري السعيد مرحلتها الابتدائية والإعدادية بصورة طبيعية، ودون رسوب، أو تعثر.

كان نوري السعيد يعتمد اعتماد كلي على نفسه دون توجيه أبويه، أو تواجد والدته لمساعدته قبل أن يبلغ السادسة عشر من حياته فقد كانت حياته في تلك الحقبة مقتصره على بغداد وما حولها في المدرسة فهي التي أوصلته إلى الكلية في اسطنبول وعمره يقل عن سنتين مختلفاً عن معظم أقرانه.

في عام ١٩٠٣ سافر إلى اسطنبول للالتحاق بالكلية الحربية فكانت رحلته عبارة عن غوص في المجهول، فقد كانت نوع من المغامرة بالنسبة له، استغرقت الرحلة من بغداد إلى حلب ثلاثة وعشرون يوماً ولكنها أربعة أيام إلى الإسكندرية، ثم الانتظار سبعة أيام لنقل باخرة الشحن النمساوية (السويد) التي نقلته مع زملائه العسكريين متجولة من الشواطئ العثمانية لتصل بهم إلى اسطنبول بعد اثنتا عشرة يوماً في البحر، بعدها قضى ثلاث سنوات من التربية الشاقة في الكلية العسكرية.

تخرج نوري السعيد عام ١٩٠٦ وفي أيلول من العام نفسه حمل الضابط الشاب رتبته العسكرية في اسطنبول مكتسباً الثقة بالنفس، ويكاد يكون السعيد الطالب الأول



من دفعته الذي يحصل على شهادة عسكرية عثمانية وهو بهذا السن المبكر.

ذكر الضابط علي حسين سنجر في كتابه عن الزعيم نوري السعيد ما نصه: "عرفت نوري السعيد عندما كان تلميذاً في الصف المنتهي في مدرسة الأركان العثمانية في الاستانة وكنا حينئذ في الكلية الحربية وكان الضابط التلميذ نوري في بغداد يزور مدرستنا في بعض أيام العطل، والأعياد، والمناسبات، الرسمية، فيلتف حوله التلاميذ العراقيين من مختلف المراحل الدراسية في المدرسة مع البعض الآخر من السوريين والبلاد العربية الأخرى".

فقد كان نوري السعيد يتحدث عن العرب، وأوضاعهم عبر التاريخ ومكانتهم التاريخية، وحاضرهم، ومستقبلهم، وهم يصغون إليه بكل اهتمام، على الرغم من أن البعض لا يفهم، ولا يدرك ما يقوله، أما الآخرون فكانوا يدركون المعنى والمعزى من حديثه لكنهم كانوا يجهلون غايته وهدفه في ذلك الوقت.

والجدير بالذكر أن نوري السعيد قد تأثر كبيراً بأراء العديد من أساتذته، وبعض القادة، والمفكرين، ومن إياهم ويأتي على رأس هؤلاء الضباط: الألماني يدعى (فون لوسو) الذي درس معه في إسطنبول والذي يقول عنه نوري بأنه أي (فون لوسو) ترك أعظم تأثير في حياته، خاصة في قوله: "علي المرء أن يستعمل عقله وطاقته بما هو متوفر بين يديه"، ويضيف نوري قائلاً: "إن ذلك أعطاني فكرة اتبعتها طول حياتي، وهي أن أكون عملياً لا مثالياً".

وحول المبدء نفسه ذكر نوري السعيد في مناسبة أخرى ما نصه: "وكلمة واحدة ليس فيها شيء من سياسة بل فيها شيء من مبادئ وهذه الكلمة سمعتها من أحد الرجال الفرنسيين، حيث جاء هذا الرجل يقول: أن مستقبلنا أصبح ماضياً وليس أمامنا إلا مستقبل البلاد. ويقول نوري تلك الكلمة اعجبني وإن شاء الله سوف أعمل بها".

ومن الملاحظ أن نوري السعيد يكون شديد الحذر، والحيطه في خطوته، وأن يكون ضد كل ما اعتبره تغيراً ثورياً خطيراً على حد تعبيره.

أثرت الدراسة بشكل واضح، وكبير على شخصية نوري السعيد العسكرية، وجعلت مستواه الثقافي أرقى مما كان سائداً، نتيجة لتحصيله الدراسي العالي، فضلاً عن اتقانه عدة لغات، واحتكاكه بالثقافات الأخرى، على الرغم من أن ثقافته كانت ميسسة إلى حد كبير وخاصة أنه تأثر بالثقافة العثمانية عامة والعسكرية خاصة ومن خلال معاشيته لطبيعة الأوضاع السائدة في الدولة



العثمانية في ذلك الوقت منذ بداية القرن العشرين التي أفرزت مكانة، وسلطة حقيقية لضابط، مما دفعه إلى الولوج في عالم السياسة وتكتلاتها السرية، واقتبس وتمتع بالسمات الرئيسة للعسكرية التركية المعتمدة على مبدأ القوة كأداة للتغيير وحل لإشكاليات الحياة ومفصلاتها.

وعليه كان نوري السعيد تشرب به العلم العسكرية من متابعه يتعلمه تاريخ العرب وأفكار الذين تتلمذ عليهم في اسطنبول التي جعلت منه محط نظر لاهتمامه بقضايا العرب المصرية.

٣- أبرز الملامح الشخصية لنوري السعيد
لقد أثار شخصيته نوري السعيد ولا تزال تثير جدلاً وخلاف حول دوره الحزبي، والسياسي في السياسة العربية، إذ يرى البعض أنه كان من أشد المناصرين للغرب في العالم العربي على حساب أمته العربية، بينما يرى فريق آخر أنه يعد من أوائل القومين العرب الذين كان لهم دوراً كبيراً في دعم قضايا الأمة العربية.

ومن الجدير بالذكر أن الجو الذي قضى نوري السعيد فيه طفولته كان أقرب إلى الانغلاق منه إلى الانفتاح، الأمر الذي انعكس بطريقة الحال على شخصيته فيما بعد.

ويقول توفيق السويدي بهذا الصدد ما نصه:
"نشأ نوري في بيئة اقليمية محدودة لم يستطع التخلص من مؤثراتها على الرغم من الزمن الطويل الذي عاش فيه وهو متصل بكبار الطبقات من الجانبين الشرقيين".

كان لوفاة والد نوري السعيد أثراً كبيراً في زيادة العزلة، والانطواء الذي كان يعيشه نوري السعيد تاركاً وراءه فاطمة زوجته، وأربع فتيات، وولد، بهية، وخيرية، وفخرية وسنية، ونوري، فتزوجت بهية من موظف وتوفيت عام ١٩٣٥، وتوفيت سنية وهي صغيرة وتزوجت خيرية من ضابط في الجيش أما فخيرية فتزوجت من جعفر العسكري عام ١٩١٠.

وبذلك ارتبط مصير عائلته بمصير عائلة أخرى قدر لها أن يكون لها دوراً قيادياً في شؤون العراق.

أما ما يخص لقب الباشوية فقد حصل نوري السعيد على هذا اللقب على أثر الخلاف الذي حصل بينه وبين الضابط المصري (محمود القيسوني) بعد أن نقل الخلاف إلى الشريف حسين (وهو من مواليد عام ١٩٩١ ولد بمكة وهو من اشرفها وكان له دور كبير في سبيل القضية العربية وعرف عنه بالمراسلات التي أجزاها مع مندوب البريطاني السير هنري مكماهون والتي عرفت فيما بعد بمراسلات هنري مكماهون كما أنه كان قائداً لثورة عام ١٩١٦ ومن بعدها أعلن نفسه ملكاً على



الحجاز عام ١٩١٦ لكن بعدها حدث خلاف بينه وبين آل سعود واستيلاء آل سعود على الطائف قرر الملك حسين التنازل على العرش لابنه عام ١٩٢٤ ثم انتقل إلى العقبة وبعدها إلى قبرص ثم إلى عمان حيث توفي هناك في عام ١٩٣١ (دفن في المسجد الأقصى).

من المآخذ التي تمتاز بها شخصية نوري السعيد هي عقدة التواضع والغموض، فقد كان نوري السعيد (بحسب الوثائق البريطانية) يعاني من عقدة تواضع وعدم شغله بحيز في المجتمع العراقي، فهو ليس كطالب النقيب، أو عبد المحسن السعدون، أو عبد الرحمن النقيب وإلا لما نازعه أحد على عرش العراق، لذا فإن نوري السعيد كان مضطراً أن يعمل تحت مظلة لها مكانتها ليمارس من خلالها التسلسل. فضلاً عن دعم الإدارة البريطانية، ومن الجدير بالذكر أن عمليات الاغتيالات التي نفذها والتي أسهمت بالفائدة على الملك فيصل على المدى البعيد كانت ذات فائدة أكبر تعود على نوري السعيد، وهو يشق طريقه نحو التقدر بعد أن حسم أمره بالنسبة للسيد الذي سوف يتبعه. لذلك استدعى نوري السعيد ونقله إلى الجيش الشرقي رغم توسط الأمير علي لديه، وقد رحب الأمير عبد الله بقدوم نوري وعينه في منصب أركان الجيش، ومنحه لقب الباشا. اللقب الذي يشفع له، لأن بريطانيا كثيراً ما استغفلته واستغفلته (أثبتت الوثائق البريطانية والوطنية أن بريطانيا كانت تستغل نوري السعيد في كثير من المواقف ولتوضيح ذلك الأمر لا بد إلى الإشارة إلى قضية اليهود البولنديين المهجرين من بولونيا أبان الحرب العالمية الثانية، فلقد وفر العراق ملاذاً آمناً لعشرة آلاف يهودي بولوني في منطقة (خان بني سعد) في أعقاب اشتعال الحرب العالمية الثانية، وكان جلهم من المثقفين والفنانين من اليهود البولنديين الذين أصدروا ببغداد جريدتهم (كروير بولسكي). ومن الجدير بالذكر أن استغلال بريطانيا لنوري السعيد واستغفاله فيها يخص قضية اليهود المهجرين مرتين، مرة إلى يابوا عشرة آلاف يهودي ومرة أخرى بإسقاط الجنسية عن يهود العراق وإعلان اسرائيل وطناً قومياً لليهود.

في عام ١٩١٠ تزوج نوري السعيد من فتاة عراقية من عائلة العسكري وهي (نعيمة مصطفى العسكري شقيقة زميله جعفر العسكري).

ولدت السيدة نعيمة زوجة نوري السعيد في عام ١٨٩١ وتوفيت في عام ١٩٦٤ في لندن، فأنجبت له ولدين هما قحطان الذي مات صغيراً أثر وقوعه في حفرة، وصباح الذي أصبح طياراً ثم مديراً عاماً لسكك الحديد العراقية عام ١٩٥٥ الذي قتل صبيحة يوم ١٤ تموز/ ١٩٥٨.

نص نادر

نبذة من عادات العراقيين أوائل القرن العشرين

إبراهيم حلمي العمر

العراقيون من أسرع الناس إلى التقليد، وأكثرهم انهماكاً بكل شيء جديد، وأشدهم استمساكاً بعاداتهم وأدابهم وأخلاقهم ولا أباغ إذا قلت أن ليس من قوة موجودة فوق الأرض (غير الله) قادرة على تغييرها أو إبدالها بأحسن منها. سرح طائر نطرك في أرجاء العراق وانعم النظر في أحوال قطانه وعاداتهم وتفقدهم وشؤونهم وحركاتهم وسكناتهم، وراقب احتفالاتهم ومجتمعاتهم، وتدبر مسامراتهم ومحادثاتهم، وانقدها نقد الصيرفي الماهر للدرهم والدينار تجدها لأول وهلة لا تختلف كثيراً عما كان عليه آباؤهم في سالف القرون، بل لتجدن أطوارهم وعاداتهم التي هم عليها الآن تنطبق تمام الانطباق على وصف الباحثين والأثريين والسياح لسكان هذه البلاد قبل مئات من السنين، وأنك لا ترى فرقاً كبيراً بينهم وبين أسلافهم سواء كان في العادات أو الآداب أو الأخلاق إذ أن هذه البلاد قد

استعمرتها أم عديدة واحتلتها دول كبيرة فلم تؤثر فيهم كثرة اختلاطهم بالأمم والشعوب، لا بل لم تغير شيئاً من عاداتهم اللهم إلا بعض أمور طفيفة لا يعتد بها لعدم شمولها جميع قطان القطر العراقي وهو أمر يبدك على شدة تمسكهم بها ويثبت لك ذلك. بيد أنك بينما تراهم شديدي التمسك بتلك العادات ضارة كانت أم نافعة؛ مخالفة لآداب الديانات أم موافقة لها، تجدهم أسرع الناس تبديلاً وتقليداً للآلام في كل شيء غريب في آزياتهم وقيامهم وقعودهم وأكلهم وشربهم.

ويظهر ذلك لكل من جاء بغداد قبل عشر سنوات ولا حظ ما كان عليه أهلها من السداجة والبداءة ثم غادرها وقدمها ثانية رأها اليوم قد لبست حلة من حلل التمدن، وعلى قطانها من الأزياء الغربية والأطوار العجيبة ما لم يكن العراقيون يعرفونه سابقاً وكثيراً ما كانوا يستهجنونها ويقبحون من جرى عليها أو استحسنتها ولا ريب أنك لو حولت الوجه نحو هذه البلدة قبل إعلان الدستور وتدبرت أزياء العراقيين لو جدت فيهم مميزات فارقة بين اليهودي والمسيحي والمسلم إذ كان لكل علامات أو خصائص تدل عليه. ولو نظرت نظرة في أسواقها الطويلة العريضة وشوارعها وأزقتها لما رأيت نصرانياً لبساً الرينيطه إلا المستخدمين في الوكالات والمحلات التجارية الكبرى ممن جابوا بلاد أوروبا ونشئوا في أحضان أساندة كلياتها وتغذوا بلبان علومها ومعارفها. ولما رأيت يهودياً لبساً الملابس الإفريقية على ما هو عليه الآن إلا ما قل ونذر، ولما رأيت مسلماً لبساً الطربوش ومتزيياً بالزّي التركي أو الإفريقي إلا الموظفين في خدمة الحكومة بل لرأيت أكثرهم ولا أقول كلهم على ما كان عليه أبائهم متمسكين بالملابس العربية وهي لبس العبادة والعمامة والعقال، فكنت إذا دخلت أسواق بغداد في هاتيك الأزمنة تصورت أنك في القرون الوسطى وتجلت لك البداءة والسداجة بأجلى مظاهرها وأبهي مناظرها. فلما أعلن الدستور واحتكت الأمة العراقية بالزلة الأوربية سرعان ما قلدوهم في لبسهم ومأكلهم ومشربهم حتى أنك اليوم لتعجب كل تعجب من هذا التقليد الغير المختلر وظهور لك الفرق بين الزمانين، ولكن هل ظهر الفرق في عاداتهم وأخلاقهم كما ظهر في آزياتهم وملابسهم؟ كلا، ثم كلا، فإن هاتيك العادات قد استحكمت عراها بمرور الزمن وقوة الاستمرار فتوطدت أركانها، وازداد القوم تمسكاً بها مع وجود طبقة من النابتة الحديثة تحاربها بكل قواها وتنتشر الفضيلة بين السكان وتبين لهم أضرار هذه العادات المستهجنة التي ربما قضت على البقية الباقية من أخلاقهم النبيلة، وصفاتهم الجليلة فتتذف بهم من حائق إلى مهاوي الهلاك والدمار.

٢ - عادات اعتقادية

١ - جنبر سوري: هذه الكلمة محرفة عن جهر شنبه سوري، ومعناها عيد نهار الأربعاء إذ أن الفرس يزعمون بوجود أربعاء واحد نحس وسائر الأربعاءات أربعاءات سعد ولهذا يطربون ويتزهون فيه طرداً للنحس والشؤم. وهو اجتماع عام يستحضر فيه آلات الأنس والطرب ويختلط فيه الرجال والنساء، ويكون ذلك عصر آخر يوم الأربعاء من صفر في كل سنة فيخرج فيه الأهالي من رجال ونساء وبنات وبنين بالزينة الكاملة إلى موقع خارج البلدة محفوف بالأزهار والأوراد حيث يكون العشب قد زاد الأرض رونقاً ونضارة وكساها حلة خضراء من حلل الطبيعة البهجة، فلا تسمع في ذلك الوقت إلا نغمة عود وغناء مغن وطرب مطرب وهكذا يقفون حتى غروب الشمس فيعودون إلى منازلهم فرحين جدلين مستبشرين وقد علمت أن السبب لهذا الاحتفال الذي جعله العراقيون عادة من عاداتهم المخروص إجراؤها هو اعتقادهم بأن شهر صفر شهر نحوس وويلات تكثر فيه النوائب وتزداد فيه الكوارث والمصائب وكذلك اعتقادهم بأن يوم الأربعاء من انحس الأيام وهو عادة من عادات العرب الأقدمين أخذوها عن الفرس أو المجوس فكانهم بهذا الأنس والطرب وهذا الاحتفال الذي يقيمونه له عام يزعجون من أنفسهم رداء الشرور تفاقوا. وقد بلغت السخافة ببعض الناس أنهم في يوم الأربعاء لا يذهبون إلى حمام ولا يلقون رؤوسهم ولا يغسلون ملابسهم لنحسه ويستدلون على ذلك بأن اليوم الذي أخذت فيه الريح الصرصر قوم عاد هو يوم الأربعاء وهو اعتقاد أكثر المنجمين بيد أننا لو حسبنا أن كل يوم تحدث فيه نائبة أو كارثة نحس لكانت كل الأيام منحوسة لأنه لا يخلو يوم من كارثة وقعت أو تقع فيه.

٢ - الصوم الخرساني: من العادات التي فشت بين العراقيين فشوا كثيراً الصوم الخرساني. وهو صوم من شروق الشمس حتى نصف النهار تصومه كل أنقى بلغت الحلم صوماً عن التكلم في هذه المدة وإذا احتاجت إلى التكلم تكلمت بإشارات تدل على مطلوبها ومرادها ويكون ذلك في أول يوم الأحد من شهر شعبان في كل سنة، وقد

جاء ذكر هذا الصوم في سورة مريم على لسان السيدة مريم عليها السلام وهو (وقولي أني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم أنسياً) إلا أن الدين الإسلامي لم يامر المتدينين به بوجود صيامه فهو إذا بدعة منكرة. ٣. حادثة الكسوف:

عندما تكسف الشمس أو يخسف القمر يصعد أكثر عامة المسلمين إلى سطوح دورهم فيطلقون الرصاص في الفضاء ويضربون على الطوس وعلى كل شيء له رنة عالية ودوي مخيف وينشدون في خلال ذلك الموقف هذه الكلمات:

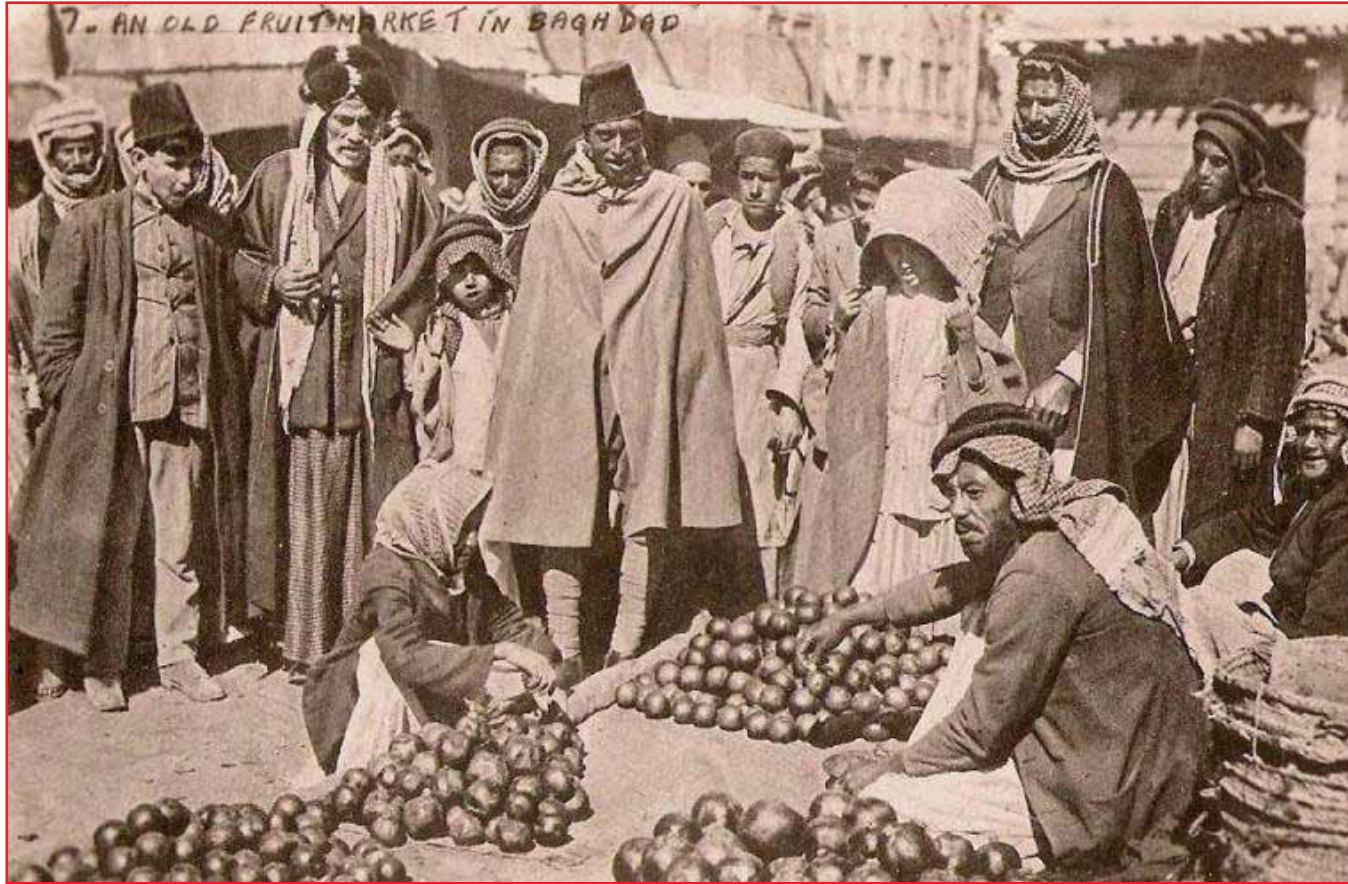
يا حوتة يا المنحوتة طلعي قمرنا العالي وإن كان ما طلعت به نضربك بالجاقوجه

وهم يعتقدون أن منشأ هذا الخسوف والكسوف التقام الحوت للشمس أو للقمر فهم بهذا الصراخ والصياح وهذا الدوي يريدون إرهابه لتخليصها منه وذلك لاعتقادهم بأن في السماء بحراً يسمى (بحر القدرة) وفيه مثل هذا الصوت الكبير الذي يبتلع الشمس والقمر برمتيهما، يا للسخافة والحماقة!

٤ - إطلاق الرصاص في الفضاء: قد اعتاد العراقيون عادة من أقبح العادات وأظنهما من عادات الجاهلية التي بقي العراقيون عاكفين عليها كما عقوا على غيرها من العادات الذميمة المنافية لروح المدنية، والمشوهة لصفات الإنسانية، وهي أنهم يطلقون الرصاص في الهواء بعد غروب الشمس عند

رؤيتهم هلال صفر. وربما يكسرون الأكواز وكل شيء له دوي ويعلمون ذلك بأن شهر صفر شهر مشؤوم تنوالت في الرزايا على العباد فيطلقون بنادقهم لإرهابه ولطرد الشرور. ولهم غير ذلك من السخافات كلها من هذا القبيل وكذلك يفعلون في آخر ليلة منه.

٥ - كربة عليها شمعة: ومن عادات العراقيين المتمسكين بها تمسكاً شديداً والتي توارثها الأبناء عن الآباء وهؤلاء عن الأجداد هو أن المريض إذا ثقل عليه مرضه وأراد أهله معرفة بنتيجة المرض من ثقلته أو خفيفه يأتون بكربة عليها شمعة مشعولة يسرونها على دجلة فإذا توارت عن



الأنظار ولم يصادفها شيء يعيقها عن سيرها أو يذهب بضياؤها علم أن شفاء المريض محقق لا محالة؛ وتباشر أهله بذلك أما إذا صادفها عارض قبل توارثها عن الأبصار أو انطفأ ضياؤها علم أهل المريض إنه ميت لا محالة؛ وعندئذ يعلو الصراخ

ويزداد العويل والنحيب وربما مات المريض لساعته من كثرة الصراخ ومن يأسه من الشفاء. وهذه التجربة لا تكون إلا في ليلة الجمعة.

٦ - القعود في الطرق: قد اعتادت نسوة العراق المسلمات القعود في الطرق ليلة الجمعة قرب الساعة الواحدة والنصف شرقية وذلك أن المرأة إذا كان زوجها غائبا وانقطعت عنها أخباره وأرادت معرفة ما إذا كان مجيئه قريباً أو بعيداً أو ما هو عليه من صحة وسقم أو خير وشرا وإذا لم يكن زوجها غائبا ولها مريض وأرادت معرفة ما إذا كان شفاؤه مرجواً أم لا، وغير ذلك من معرفة المجهولات تقعد على مفرق ثلاث طرق وتقبض بيدها على ثلاثة أحجار فترمي واحداً منها على الطريق الذي عن يمينها والثاني على الذي عن يسارها والثالث على الجهة القبلية وتقول هذه الكلمات (يا خيرة الدرب علميني ما في القلب زينة تبينين شينة تبينين) وبعده تقعد صامئة ترأب ما يقوله الأتون والذاهبون فإذا سمعت كلاماً منهم تعتقد فيه الخير استبشرت وفرحت وإذا كان شراً حزننت واكتابت وكذلك شأن الجاهلين.

٩ - (خييط الحمى) قد اعتاد العراقيون عادة نضحك التلكي وتدل على سخافة في العقول وسداجة في الأفكار وهي أن كل من تعثر به الحمى يأخذ أهله خيطاً من القطن ويذهبون به إلى باب أحد الجوامع في ليلة الجمعة قبل صلاة العشاء فيقبض أحدهم على طرف منه والأخر على الطرف الثاني ويمدونه على الباب ليكون بمنزلة مانع للدخول ويقفون كذلك إلى أن يخرج المصلون من الصلوة وعند ذلك يقطع أو الخارجين من الجامع فيعتقد إن ذلك أهل المريض أن الحمى قد انقطعت عن مريضهم وانتقلت إلى قاطع ذلك الخيط!

بين عباس جميل وزهور حسين



زارتني في المدرسة التي كنت أعمل فيها حتى أكون معها لزيارة زوجها في سجن المنشي، ولكن الظروف حالت دون زهابي معها فسافرت هي وأختها وشقيق زوجها، وعلى طريق الحلة انقلبت السيارة فتوفيت أختها ونقلت هي إلى المستشفى، وبقيت غائبة عن الوعي قرابة عشرة أيام فارقت الحياة بعدها سنة ١٩٦٤".

أكثر من صوت. وصوت زهور حسين تتخلله بحة محببة للقلوب، كانت تضيف إلى أذن المستمع الحنان والتعاطف. ومن أشهر الأغاني التي لحنها لها "أني اللي أريد أحجي"، "غريبة من بعد عينج يا يمه"، "يم عيون حراقة"، "جيت لهل الهوى"، "هله وكل الهلة" و"عشرات غيرها". ويضيف الراحل جميل "أنكر أنها قبل وفاتها بساعات



طريقها بنجاح كمطربة على الصعيد الشعبي، وعلى المستوى الغنائي في الوطن العربي. وفي سنة ١٩٤٨ كان لي لقاء آخر معها حيث لحن لها أغنية "أخاف أحجي وعلّي الناس يلاون".

وفيها حولت الخط الغنائي الذي كانت تسير عليه زهور حسين، من الميزان الثقيل إلى السريع، لذلك وجدت لها شخصية متميزة لم ينافسها فيه سوى لمبة توفيق ووحيدة خليل، لأن الفنانين كانتا تقدمان اللون الغنائي الريفي وهو الأقرب إلى لون زهور حسين. فتمكنت من أن أخلق نوعاً من المنافسة بين المطربات، وذلك عن طريق توزيع ألبانها على

علي عبد الأمير

ذاكرة

صوت زهور حسين، حفر على خارطة الغناء العراقي، اثرا عميقا، كان له ان يتواصل شجنا والوانا في الاداء، لولا حادث السيارة الذي اودى بصاحبتها الى مهاوي الصمت القاتل، وهي في الاربعين، وتحديدا في يوم ١٩٦٤/١٢/٢٤ قرب الحلة (بابل) وهي في طريقها الى زيارة زوجها السجين، كأنها في تلك النهاية تصل الى لحظة تراجيدية لطالما كانت اغنياها منذورة لحزنها المديد.

زهور حسين، أو زهرة عبد الحسين، المولودة في الكاظمية ببغداد العام ١٩٢٤ والتي لم يتهيأ لها دراسة الموسيقى او بعض الطرائق الغنائية، انما الموهبة التي صقلتها بالمران والمعرفة المكتسبة من تجربتي الغناء والحياة معا، كانت بدأت مشوارها في اجواء الغناء الشعبي على هامش المناسبات الاجتماعية النسوية، بينما كانت لحظة الحقيقة الفنية بالنسبة لها، هي المثلة بميول زوج والدتها، المحب للموسيقى والمقتني لاسطوانات قراء المقام العراقي:

نجم الشيلخي، رشيد القندرجي، وحسن خيوكة، واهل الطرب العربي: فريد الاطرش، اسمهان و ام كلثوم. وهو من انتبه لاحقا لحلاوة صوتها، فشجعها على الغناء، حتى وجدت طريقها لإذاعة بغداد، بعد ان استمع اليها الاخوان المؤسسان: صالح وداد الكويتي فانبهر بصوتها وبحة المميزة، وبإحساسها في أدائها لأغانيها، وعرضا عليها العمل في "ملهي الفارابي" يوم كانت "الملاهي" مسارا ثقافيا ليس بالضرورة قرينا بالردائل. وفي عام ١٩٤٤ ساعدها صالح الكويتي في أداء أولى حفلاتها الغنائية من دار الإذاعة العراقية، حين كانت حفلات للكثير من المطربات والمطربين تذاع على الهواء مباشرة والساعة يوميا.

ويعود للحديث عن "صاحبة الصوت الذي يخترن أحزان المرثي الحسينية ونبرة الشجن العراقية"، الملحن الذي ارتبط اسمه بها، الراحل عباس جميل فيقول: "تعرفت إلى زهور حسين سنة ١٩٤٢ في دار الإذاعة حيث قدمت مقام الدشت وأغنية عراقية قديمة. ومنذ ذلك التاريخ بدأ الملحنون في البحث عن ألبان يقدمونها لصوت زهور حسين القوي الذي يتمتع بأبعاد غنائية كبيرة. فقد استطاعت أن تنشق

رئيس التحرير التنفيذي:

علي حسين

سكرتير التحرير:

رفعة عبد الرزاق

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ربيع

العدد (5711) السنة الحادية والعشرون -
الأتنين (22) تموز 2024

www.almadasupplements.com

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون